ثقافة

مع غزّة

عماد عبد اللطيف

يقطع الاحتلالِ عنكم الكهرباء فتضيئون العالم بأسره

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «فلسطين هي الاختبار الأكبر لعروبتنا وإنسانيتنا معاً»، يقول أستاذ البلاغة والباحث المصري عماد عبد اللطيف في حديثه لـ«العربي الجديد»

بطاقة

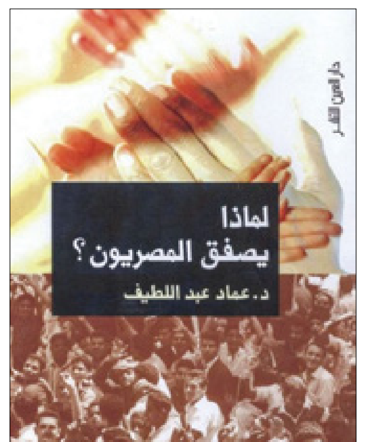

باحث وأكاديمي مصري، يعمل أستاذاً للبلاغة وتحليل الخطاب في جامعة قطر. درَس في جامعتَي القاهرة ولانكستر البريطانية. من مؤلّفاته: «لماذا يصفّق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن» (2009)، و«استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي» (2012)، و«بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة» (2013)، و«تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة» (2020).

الدوحة ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوانِ إبادةٍ على غزّة؟

أكتب هذه الأيام افتتاحية العدد الثامن من مجلة «خطابات»، والمخصص لدراسة خطاب الجوع. وكلما أمسكتُ القلم أتذكّر حال مئات الآلاف من الفلسطينيّين، تُمارَس عليهم حرب تجويع وترويع، لم يشهد العالم مثيلاً لها منذ عقود. هناك مجاعة حقيقية، يجوّع فيها احتلالٌ مجرمٌ شعباً كاملاً؛ كي يجبره على قبول الذل والانكسار. والأكثر إيلاماً أن تجويع الفلسطينيين، وتشريدهم، وقتلهم، تتم تحت مرأى العالم بأسره ومسمعه. لقد خصّصنا عدداً لخطاب الجوع في مجلة «خطابات» قبل الأحداث الراهنة بعام ونصف، لكن إخراج العدد في ظلّ هذه الظروف يجعل الحساسية للكلمات ذاتها مختلفاً. فجوع الغزّيين يجعلنا نرى الجوع بأعيننا، وحشاً طليقاً يفترس شعباً بأكمله، على مرأى البصر.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

وأنا أكتب هذه الكلمات، يكون قد مرّ على بدء العدوان الوحشي حوالي خمسة أشهر. مرّت تلك الفترة كأنها دهر، ومررتُ خلالها بفترات تقلّب شتّى. في البداية امتصتني الأحداث، كنتُ مشغولاً طوال يومي، وفي أحلامي أثناء نومي، بما يحدث. لا أتوقّف عن مشاهدة الأخبار، ومتابعة الصحف، والكتابة في الصحف وفضاءات التواصل الاجتماعي عما يحدث. اعتذرتُ عن كثير من الأنشطة غير الملزمة، وأجّلتُ ما يمكنُ تأجيله من الملزم منها. استمر هذا الامتصاص الكامل للحياة فترةً، عانيتُ فيها إنهاكاً عقلياً ونفسياً شاملاً. فالحرب لم تدر رحاها في فلسطين المحتلّة فحسب بل في بيت كلّ إنسان حرّ، يتألّم لمعاناة شعب مقهور، يُعاني من إبادة جماعية. وكان من الضروري استعادة القدرة على الحياة حتى يمكن الاستمرار والمواصلة. وكانت المرحلة الثانية محاولة لاستعادة درجة من التوازن النفسي والعقلي، وكان من نتائج ذلك تحويل الانشغال بالحرب إلى عمل معرفي منتج من خلال اقتراح مشاريع بحوث جماعية تدرس خطابات الحرب دراسة علمية.

■ إلى أي درجة تشعر بأن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

الإبداع والمعرفة سلاحا تحرير وتحرّر، لا يقلّ أثرهما في حسم الحروب كثيراً عن القنابل والصواريخ. وقد أدرك الاحتلال الصهيوني هذه الحقيقة، على نحو ما يتجسّد في عبارة إرهابية قالتها غولدا مائير التي وضعت خطة لاغتيال الكتّاب والأدباء والفنّانين الفلسطينيّين قبل خمسين عاماً. فبعد اغتيال المناضل المبدع غسّان كنفاني، قالت الإرهابية غولدا مائير، رئيسة وزراء كيان الاحتلال حينها: «اليوم تخلّصنا من لواء فكري مسلّح. فغسّان بقلمه كان يشكّل خطراً على إسرائيل أكثر مما يشكّله ألف فدائي مسلّح». وليس في كلام الإرهابية مائير أيّة مبالغة، فالمبدع الحق هو جيش تحرير موازٍ. فالإبداع الإنساني الأصيل يُعرّي التلاعبَ والكذب، ويدعم الحقّ والعدل والخير والجمال. ومن ثمَّ، فإنه يمثّل خطورة كبيرة على الاستعمار الصهيوني الذي يتنفّس التلاعب والكذب، ويتعمّد قتل الحق والعدل والخير والجمال. لو نظرتَ حولك في كل مكان ستجد أدلّة هائلة على الحرب التي يشنّها الكيان الصهيوني على المبدعين والفنانين النبلاء في كل أرجاء العالم. فهو يمارس أشكالاً من الاغتيال المعنوي، والعقاب المادّي لكلّ من ينحاز إلى حقّ الشعب الفلسطيني المحتل في تحرير أرضه، ويقدّم رشاوى مادية ومعنوية هائلة لكلّ من يبيعون ضمائرهم، ويدعمون الاحتلال الغاشم. تستعمل الصهيونية العالمية كل أدواتها القذرة لتكميم أفواه الفنانين والأدباء، وتستغل سيطرتها الشيطانية على وسائل إعلام وترفيه، وجامعات، ومراكز بحث، وصناع سياسات، ومؤسسات تمويل لإكراه مبدعي العالم على التأييد أو الصمت. قبل فترة استُبعد الفنان باسم يوسف من فيلم «سوبرمان»، وقبله استُبعدت ميليسا باريرا من فيلم «الصرخة 7»، وقبلهما ألغى معرض فرانكفورت للكتاب تكريم الروائية الفلسطينية عدنية شبلي. وذلك كلّه لأن باسم وميليسا وعدنية انحازوا إلى إنسانيتهم وإلى حقّ البشر في الحرية والعدل والمساواة. وما جرى لهم حدث لكثيرين مثلهم آخرين. ولكي يكون العمل الإبداعي فعّالاً بحقٍ في أي صراع من أجل الحرية يجب أن يكون إبداعيًا بحق، أي أصيلاً مبدعاً متقناً. كما يجب أن ينحاز إلى القيم الإنسانية الكبرى مثل الحق والخير والجمال، فلا ينخرط في كراهية مضادة، أو تلاعب مماثل لما يقوم به الاحتلال. يجب أن يكون المبدع الداعم للتحرر أخلاقياً كي ينسجم إبداعه مع أخلاقية مواجهة الاحتلال الصهيوني لشعب فلسطين.

■ لو قيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

الإبداع الحق هو نوع من النضال الإنساني المتواصل. لكن في بعض الأحيان تصبح الكلمات عاجزة خرساء. فحين أرى صور الأطفال العرايا الجوعى في البرد القارس في غزّة تموت الكلمات على الشفاه، وتصبح غاية المُنى أن يعمل المرء بيده لتخفيف المعاناة، وكم تمنّيت لو أتاحت الظروف فرصة التطوع في مؤسسة دولية لدعم ضحايا الحروب؛ كي أشارك في تخفيف معاناة مئات الآلاف من الأطفال والشيوخ والنساء من خلال توفير الاحتياجات الأساسية، وتقديم الدعم النفسي والروحي. لكننا نستطيع مدّ يد العون بأشكال شتّى رغم البعاد. فأيّ إنسان بإمكانه مناصرة الشعب المحتل بالكلمة، وبالتبرّع للجوعى والمشرّدين والجرحى، وبنقد الاحتلال الإجرامي الذي يمارس إبادة جماعية وجرائم حرب ممنهجة كلّ يوم تقريباً.

عماد عبد اللطيف

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

التغيير لا يُنتظَر، بل يُصنَع. العالم الذي نعيش فيه متوحّش، لن يُعطي حقاً لذي حقّ إلّا إذا انتزعه انتزاعاً. كنّا نرجو أن يكون العالم أخلاقيّاً، يدافع عن قيم الحرية والعدل والمساواة، لكننا ندرك الآن جيداً أنّ القوة هي القيمة الوحيدة التي يُحسب لها حساب. ولا عزاء للضعفاء. مع ذلك، هناك حقيقة ساطعة فرضتها «طوفان الأقصى» في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الماضي؛ هي أن الضعيف هو فقط من اختار أن يكون ضعيفاً. وأن كلّ فرد وجماعة وأمّة لديها مصادر قوة، تجعلها قوية في مواجهة الآخرين. وأن موازين القوى لا تقاس بالقدرات المادية فحسب، بل بالإيمان العميق بالقضية، والاستثمار الأمثل لكل مورد متاح. التغيّر الوحيد الذي أرجوه أن يدرك كل ضعيف، سواء أكان فرداً أو جماعة أنه يستطيع المقاومة، وأنه يجب أن يقاوم حتى يعتدل الميزان.

> الحرب ليست في فلسطين فحسب، بل في بيت كل إنسان حرّ
>
> دعمك القضية الفلسطينية يحرّر إرادة العالم العربي كله

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

الشاعر المقاوم أمل دنقل. فقد ضحّى أمل حرفياً بكل ما يتطلّع إليه البشر العاديون كي يمتلك حريته في مساندة الضعفاء. اختار أن يحيا مهدّداً فقيراً محاصراً، كي يحفظ حريته في قول ما يؤمن به ويدافع عنه. أودّ أن أقول لأمل: نحن مدينون لك، فقد علّمتنا أن الإبداع المقاوم الحق لن يموت.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

يقطع الاحتلال عنكم الكهرباء، فتضيئون العالم بأسره بنضالكم. يحاصركم الاحتلال، فتحرّروننا بصمودكم. يحوّل الاحتلال أرضكم إلى مكان غير قابل للعيش، فتعلموننا درساً في التشبّث بالوطن ولو كان حطاماً. سيُلهم نضالكم العالم لأجيال قادمة، وسيظل كل محب للحرية فخوراً بنضالكم لزمن طويل.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

فلسطين هي الاختبار الأكبر لعروبتنا وإنسانيتنا معاً. الروابط التي تجمعنا تفرض علينا التعامل مع نضال الفلسطينيين من أجل التحرّر على أنه نضال عروبي. فالاستعمار الاستيطاني الذي يسعى الفلسطينيون إلى الخلاص منه، هو ذراع الهيمنة الغربية، التي تحكِم قبضتها على عنق العالم العربي، وتخنقه. إن دعمك للقضية الفلسطينية لا يُسهم في تحرير فلسطين وحدها، بل يحرّر إرادة العالم العربي نفسه.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

أقول لهم، اغفروا لنا تقصيرنا، وسامحونا على قلّة حيلتنا.

متابعة

انتصار قضائي لأحد أصدقاء فلسطين

«عيون» برلين التي رفضت الترهيب

تجاهلت أغلب الصحف الألمانية قرار المحكمة الذي جاء في صالح مركز «عيون» في برلين، بعد تعرّضه لحملات ابتزاز و تشهير لاستضافته نشاطات متضامنة مع فلسطين

برلين ـ **يزن التميمي**

من أحد فضاءات مركز «عيون» في برلين

أعلن المركز الثقافي المعني بدعم الفنانين والمبدعين الأجانب في برلين «عيون»، انتصاره في معركة قضائية ضد الصحيفة الألمانية تاجيس- شبيغل، بعد نشر الأخيرة وعلى مدار خمسة أشهر أخباراً ومقالات «بهدف التشهير بالمركز والدفع نحو إغلاقه ومنع الدعم عنه»، وذلك على خلفية استضافة المركز بعد أيام من السابع من تشرين الأول/أكتوبر أمسية للتضامن مع فلسطين، ضمَّت مجموعة «يهود من أجل سلام عادل» وغيرها من المجموعات الثقافية والفنية، التي تنشط منذ سنوات للدفاع عن حقوق الفلسطينيين وتسليط الضوء على معاناتهم، وتُتَّهم بالتالي بمعاداة السامية، ويتمّ الدفع لإيقاف عملها ووقف الدعم عنها.

وقد تم بالفعل تعطيل المنحة المقدمة من بلدية برلين للمركز، وإصدار أمر إخلاء من المنشأة التي كانت قد مُنحت له لاستضافة فنانيه وعقد الفعاليات. لكن المركز استمر في معركته ورفض إخلاء المبنى، واستطاع جمع قدر معين من التبرعات، والكثير من التضامن والمؤازرة من جهات ثقافية وفنية مختلفة، ما دفع صحيفة تاجيس- شبيغل إلى إطلاق حملة تشهير تعيد الاتهام المعتاد بمعاداة السامية، بذرائع مختلفة، ترتكز أحياناً إلى طبيعة الشخصيات التي يستضيفها المركز، وأحياناً أخرى إلى اللغة التي يصف بها القائمون على المركز دولة الاحتلال والأعمال الإجرامية التي تقوم بها في غزة، فمثلاً ترى الصحيفة استخدام المركز عبارات مثل «نظام الأبارتهايد» أو «الاستيطان الإحلالي» دليلاً على معاداة السامية، رغم أن على رأس المشاركين في الفعاليات التضامنية يهوداً معادين للصهيونية. لم تكتف الصحيفة بهذا، بل كتبت في مقال نشر بتاريخ 19 كانون الثاني/يناير الماضي مزاعم أن المركز يبيع مقتنيات المبنى الذي هو فيه بصورة غير قانونية، كونها «قد تكون» ممتلكات دولة، يجب فحص ملكياتها قبل القيام بعملية الشراء. ثم وفي مقالة نشرت بتاريخ 20 فبراير/شباط الماضي نقلت الصحيفة عن عضو برلمان برلين عن حزب الخُضر اسمها سوزاني كاليفيلد أن «بلدية برلين تجاهلت المخالفات المتكررة للمركز بسبب علاقات عائلية تربط أحد القائمين على المركز وبعض المسؤولين داخل البلدية».

> مصطلح «الاستيطان الإحلالي» ليس دليلاً على «معاداة السامية»

وقد نشر المركز على موقعه الرسمي قبل أيام (بتاريخ 25 آذار/مارس الجاري) خبر انتصاره في القضية التي رفعها على صحيفة «تاجيس- شبيجل» والسياسية الألمانية سوزاني كاليفيلد، إذ منعتهما محكمة برلين من ترديد ثلاثة ادعاءات وردت في المقالة المنشورة بتاريخ 20 فبراير/شباط الماضي. كما أكدت المحكمة بطلان وجود أي محاباة للمركز بسبب علاقات عائلية مع أحد السياسيين، ورأت أيضاً أن الاتهامات بمعاداة السامية لا أساس لها. وقد رأى المركز في هذا القرار «انتصاراً للمصداقية، وإشارةً واضحة إلى المخاطر التي تنشأ من الاتهامات التي لا دليل عليها».

يُلاحظ أيضاً تجاهل أغلب الصحف المحلية الإعلان عن قرار المحكمة الذي جاء في صالح مركز «عيون»، في حين لم يفت أكبر الصحف الألمانية نشر التعليقات المسيَّسة وقرار إلغاء المنح وإخلاء المبنى، وغيرها من القرارات المستعجلة والمجحفة التي طاولت المركز منذ السابع من تشرين الأول/أكتوبر الماضي.

إطلالة

في أن تُنسَب إلى الخارج

الوطني والمستورد

شريحة كبيرة من القرّاء والنقّاد العرب ما زالت تنسب فنوناً كالرواية والقصة والمسرح إلى الخارج غير العربي، وكأنها بضاعة مستوردة

ممدوح عزام

اعتاد الناس أن يُسمّوا ما يصنع في الداخل السوري «الوطني»، بينما يُطلقون على كلّ ما عدا ذلك اسم «المستورد». كانت الصناعة الوطنية إحدى المفاخر السورية، في أكثر من مجال: فالزجاج السوري، والإسمنت، والنسيج السوري الصناعي، واليدوي، كانت أمثلة للجودة والإتقان والثقة، بحيث يُمكن اعتبارها هوية تتحدّى من حيث الجودة مثيلاتها من الصناعات التي تُستورد إلى البلد.

لم يكن للأمر علاقة بـ«الوطنية» سياسياً من حيث الظاهر، وإنما كان الاسم مستمدّاً من الجغرافية المحلية التي تسمّى وطناً. وبفضل المتانة وحسن الصناعة، كان خيطاً رفيعاً من المشاعر يمتدّ ليربط بين السوري وبين ثوب النسيج المصنوع بأيدي الحِرفيّين المَهَرة في معامل النسيج السورية.

والظاهر أنّ السوريّين في تلك الأزمان كانوا يحاولون أن يحسّنوا صناعة الوطن، بالقدر نفسه الذي يصبح فيه مناسباً أكثر فأكثر للعيش، والحياة الطيّبة. بينما كانت الرياح تشتدّ بهم وبسفينتهم في اتجاه آخر.

انقلبت التسميات والمفاهيم اليوم، إذ بات الوطني عاديّاً، أو دون العادي، أو رديئاً من ناحية الصنع، بينما يُشاد بالمستورد، ويُمدح، ويُباع، أو يُشترى بيُسر وسهولة وبأغلى الأسعار. ينطبق هذا على معظم السِّلع الموجودة في الأسواق ومن كلّ الأنواع أيضاً، كما ينطبق على معظم البلاد التي يستورد منها التجّار (عدا الصين ومصنوعاتها الرديئة بالطبع). وحين يجد أي مواطن أنّ الوطني مصنوع بمواصفات جيّدة، فإنّ أول ما يفكّر فيه هو نسبته إلى الخارج، أي أنه يُشبه كذا من الصناعات في كذا من بلاد العالم.

اللافت أنّ شريحة كبيرة من القرّاء، والنقّاد أحياناً، باتت تنسب الكاتب إلى الخارج، خاصة في حقل الرواية، أو القصة، أو المسرح، ربما لأنّ هذه الأنواع نشأت عبر التأثّر الثقافي، بينما يعفى الشعراء العرب من هذا التنسيب؛ لأن للشعر جذوراً عربية موغلة في القدم. هل يردُّ السبب إلى عدم قدرة الرواية العربية بعدُ على اجتراح هوية خاصة بها، تمنحها حقّ الوجود كرواية عربية؟ أم أن العقل العربي السائد اليوم مطحونٌ ومستعبَد وراضخ لقوّة الثقافات القادمة من الخارج؟ أم يعود إلى أيديولوجيا تفوُّق كسيحة ترفض التأثّر؟ كأنّ الرواية العربية مجرّد خيط نسيج صوفي أو قطني أو حريري مستورد يُغزل محلياً. والسؤال الذي يظل يتكرّر: ما العربي في الرواية العربية؟ الشكل أم المضمون؟ وعلى أي فكرة يتّكِئ من ينسب قيمة رواية عربية إلى الرواية الغربية؟ تبعيتها أم فرادتها؟ يبدو الأمر معكوساً في عالم الأفكار بحسب ما تراه السلطة العربية، أي سلطة كانت، سواء السلطة السياسية، أو السلطة الدينية، أو السلطة الاجتماعية، إذ تستخدم كلمة «المستورد» كي تجعل من الأفكار الإنسانية مشوّهة أو مُغرضة أو خائنة أو طارئة على الحياة. تُرفَض الماركسية بذريعة أنها مستوردة، كي تُرفَض أفكارها عن نهاية الاستغلال، وتُرفَض الليبرالية للسبب نفسه، وسوف تصبح الديمقراطية بضاعة مستوردة أيضاً. وفي هذه الحالة، يستخدم مفهوم الاستيراد الفكري، من أجل القول بعدم صلاحيته للوطني، والأدهى من ذلك أن يستخدم الوطني، وهم شعوب هذه البلاد للقول إن المستورد، وهو هنا الديمقراطية، لا تناسبهم.

> ما يبدأ بأنماط الأدب ينتهي بطرق الحُكم وبالسلطة

(روائي من سورية)

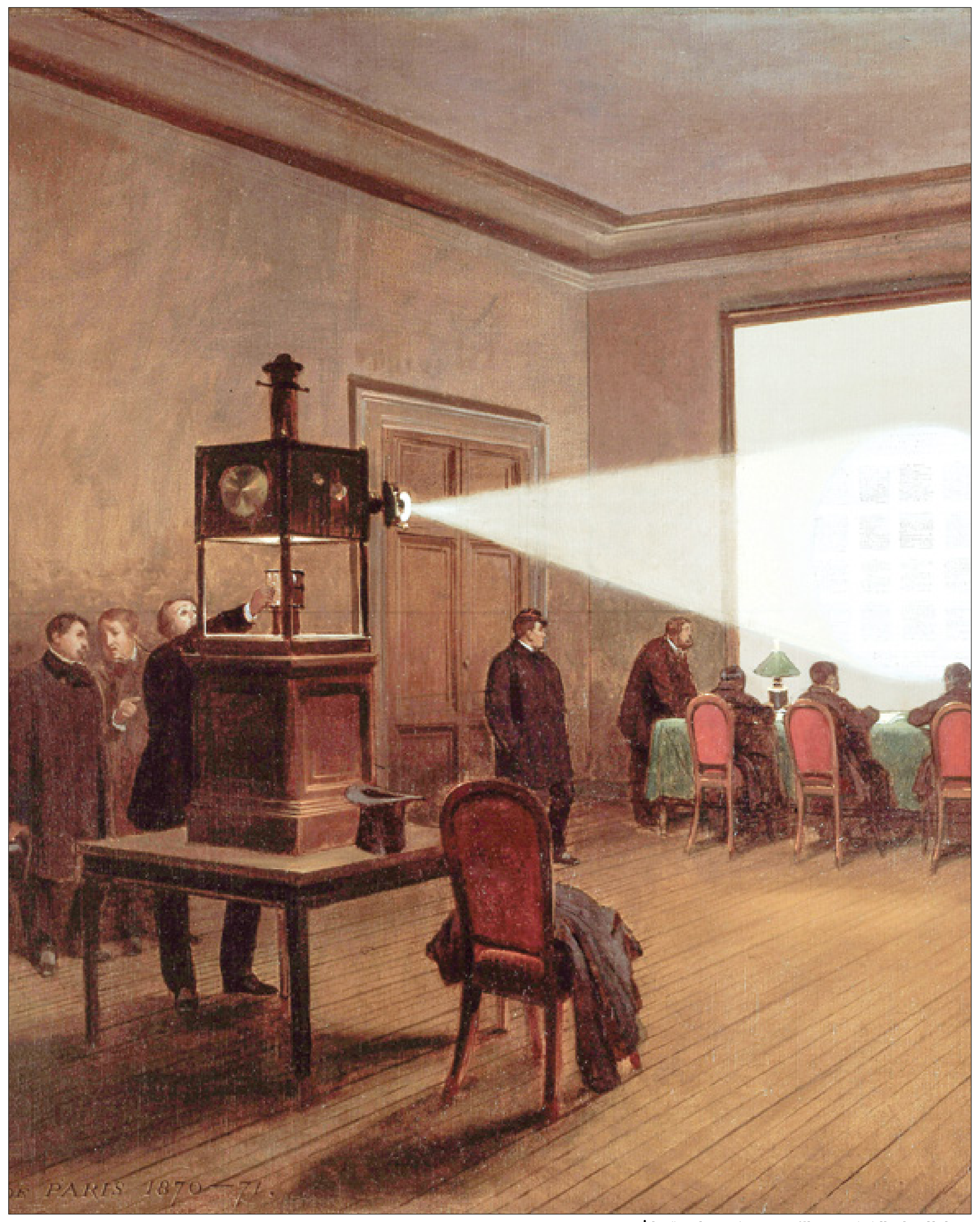

عمل للرسام الفرنسي جاك ديديه، زيت على قماش

فعاليات

حتّى مساء السبت المُقبل، تتواصل في مدينة الأغواط الجزائرية الدورة العاشرة من **المهرجان الدولي للسماع الصوفي** التي انطلقت فعاليّاتها الثلاثاء الماضي تحت شعار **السماع الصوفي، لحن المقاومة وأنغام الثورة**. تحلّ فلسطين ضيف شرف الدورة الحالية التي تشارك فيها فرق من تسعة عشر بلداً.

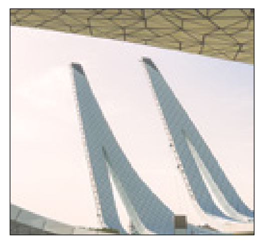

تعابير معاصرة: اندماج الطراز المعماري الإسلامي والعالمي عنوان الحلقة النقاشية التي تعقدها «مؤسسة قطر» بالدوحة مساء اليوم ضمن فعاليات «مارس.. شهر العمارة». تضيء الحلقة الأساليب التي يمتزج فيها التصميم الإسلامي التقليدي برؤى معاصرة، بمشاركة المعماريين **علي مانجيرا** و**آدا يفار** و**طه الحتي** و**مروان البلوشي**، و تديرها الباحثة **سوزان غضنفر**.

يُعرض على المنصّات الإلكترونية لـ«مهرجان شيكاغو فلسطين السينمائي» (CPFF) في مدينة إلينوي الأميركية عند الثامنة والنصف من مساء اليوم الجمعة فيلم **حكايات من غزّة** (2019) للمخرج الفلسطيني **إياد الأسطل**. علماً أن الدورة الثالثة والعشرين من المهرجان تنتظم في موعدها نهاية الشهر المقبل.

حتى الخامس من الشهر المقبل، تواصل **مؤسسة عبد المحسن القطان** في رام الله استقبال الترشيحات ضمن الدورة الطارئة من مشروع **مساحات** في مختلف حقول الفنون البصرية، والأدائية، والأدب، والسينما. تخصص الدورة الحالية للفعاليات التي تتناول موضوعات تساند صمود الشعب الفلسطيني في مواجهة عدوان الإبادة الإسرائيلي.